

تدريس مادة التعبير الكتابي أصول و مبادئ

د. مولاي حورية

كلية الآداب و اللغات و الفنون

جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس / الجزائر

يعد التدريس بالكفاءات منهجا للتعليم curriculum و ليس برنامجا programme للتعليم، إذ تُمكن المتعلم من كسب مهارات و كفاءات و قدرات و معارف، مما تجعله محورا أساسيا في العملية التعليمية، و لكي يحصل هذا لا بدّ للمعلم بدوره أن يكسب القدرة على بناء المخططات، و أن يتحكم في المفاهيم الواردة في المناهج (الكفاءة، المحتوى، الأداء، المؤشر، و الهدف...)، و أن يطور مستواه العلمي و المنهجي وفق ما يسمح به المستوى العام للتلميذ أو المتعلم.

وهذا لا يمكن أن يحصل إلاّ إذا كان للمعلم خصوصيات تتمثل في القدرة على تحليل وضعية ما والتنبؤ بردود أفعال المتعلمين و التعبير بوضوح و صراحة، فضلا عن تقويم نوعية عمله و التعمق والاتصال بالآخر وتنويع أساليب التعليم و مراقبة مكتسبات المتعلم القبلية ومراعاة الجانب النفسي وكلّما تمكن المتعلم من الاندماج وتحقيق الهدف يكون معلما و أستاذا متمرسا و فعالا.

وعليه هذه الخصوصيات هي بمثابة باب من أبواب تدريس مادة التعبير الكتابي في أيّ طور من أطوار التعليم، وعلى جميع والمستويات لما تبلغه من أهمية كبرى تتماشى و أهمية المادة العلمية الممثلة في التعبير الكتابي.

إذا وفق هذا السياق يمكن طرح مجموعة من الأسئلة و لعل أهمها: ما قيمة هذه المادة العلمية؟ ما الغاية من تدريس مادة التعبير الكتابي؟ ماهي الطرق المتبعة في تدريس هذه المادة التعبيرية؟ أين تكمن مشكلة تدريس هذه المادة؟ ما الحلول و الآفاق؟

و للإجابة على هذه الأسئلة لا بدّ من توضيح كل ما يتعلق بهذه المادة من تعريف و أهمية و طرق وأساليب.

1- تعريف التعبير لغة و اصطلاحا:

يترادف التعبير بمصطلحات لها نفس المدلول و المفهوم-إن صح التعبير- ومن بين هذه المصطلحات نجد الإنشاء و البيان، فقد قيل إن مصطلح التعبير ما هو إلاّ مرادف لمصطلح الإنشاء، ومدلولهما معا هو الكلمة والقول والكتابة في موضوع ما.

فالقول التعبير "إنشاء" يُقصد به كل ما يتعلق بالتعبير عن الأشياء الموجودة أو التي ليس لها وجود من قبل، كالتعبير عن الخواطر و ما يجول في أنفسنا من مشاعر و أحاسيس.

أما "الإنشاء" التعبير فهو ما يرتبط بالصيغ و التراكيب أي التعبير بفعل اللغة.

وقد يقصد من التعبير "البيان" مصداقا لما جاء في القرآن الكريم ففي قوله تعالى: "يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ

إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ"¹ وفي قوله: "الرَّحْمَانُ(1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ(2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ(3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ(4)"²

وكل هذه المصطلحات معمول بها في المدارس التعليمية، إلا أن اللفظ الأكثر شيوعاً ووروداً هو مصطلح "التعبير".

و يقصد به لغوياً التعبير عما في النفس من أفكار و أداءات داخلية، فيقال: عبّر عما في نفسه أعرب، عبّر عنه غيره فأعرب عنه³

أما اصطلاحاً: ففي مفهومه العام و الشامل هو الإيضاح و الإبانة و الإفصاح عما يختلج النفس من شعور و أحاسيس، يعبر عنها بأي وسيلة من الوسائل التعبيرية سواء كانت الرسم، اللغة، التمثيل، الموسيقى و غيرها، و لكل وسيلة دراساتها و علومها⁴

و هذا النوع من التعبير وسيلتها اللغة بحيث "وفق خطة متكاملة يمكن المعلم الوصول إلى مستوى يمكنه من ترجمة الأفكار و المشاعر و الأحاسيس و الخبرات شفاهة و كتابة"⁵ وقد عرفته هدى صالح على أنه " مجموعة الأداءات التي يقوم بها الطلاب أثناء الكتابة لتكون كتابتهم دقيقة وصحيحة ومتراصة " ⁶ حتى يمتلك الفرد القدرة على نقل الفكرة أو الإحساس كامنة داخل الفرد أو الشخص كما يرى اللقاني فالتعبير عنده هو " ترجمة للأفكار والمشاعر الكامنة بداخل الفرد تحدثاً وكتابة بطريقة منظمة ومنطقية ، مصحوبة بالأدلة و البراهين ، التي تؤيد أفكاره وأدائه تجاه موضوع معين أو مشكلة معينة " ⁷ بلغة تحترم النظم اللغوية نحواً و صرفاً و معجماً سواء بلغة السماع أو التحدث أو القراءة أو الكتابة .

2/ أنواع التعبير الكتابي :

هناك أنواع عديدة من التعبير، فعادة ما أصبحنا نعرف أن هناك تعبير شفهي و تعبير حر و تعبير بالصور و تعبير بالقراءة ، و هناك من يحصرهم في نوعين : التعبير الكتابي الوظيفي و التعبير الكتابي الإبداعي .

أ- التعبير الشفهي : هو التخاطب الذي يكون بين المعلم و المتعلم شفاهة ، وظيفته زيادة القدرة على تنظيم الأفكار و اختيارها ، مجزأ ك هو الآخر إلى فروع .

ب- التعبير الحر: هو بمثابة توضيح السبيل و الطريق للمتعلم، حيث يترك له الحرية بأن يتحدث عن " أي موضوع يختاره هو و يكون دور المعلم هنا توجيهياً"⁸ أي هو اختيار حر للمتعلم تلقائياً.

ج- التعبير بالصور: المعرّضة على المتعلم، حيث يتم فيه عرض مجموعة من الصور يتم عبرها التحوّل والنقاش بين المعلم و المتعلم لكي يكتشف مهاراتهم التعبيرية و مدى انتقائهم للصور الهادفة، و دورها هو معرفة مدى تركيز المتعلم و حثه لاختيار موضوعه الذي يميل إليه.

د- التعبير بالقراءة: حيث يقدم المعلم للمتعلم مجموعة من القصص أو موضوعات أو سرد السيرة الذاتية للمتعلم شفاهياً كتكملة، أو تعليق على تلك القصة أو الموضوع عن طريق استعمال عنصر التشويق، حتى يتمكن المتعلم من رسم خطوطه الأساسية للأفكار الواردة في تلك النصوص أو الموضوعات.

كما يمكن حصر هذه الفروع في نوعين هما:

1- التعبير الكتابي الوظيفي (النفعي): يفني بمتطلبات الحياة و شؤونها المادية و الاجتماعية، فهو مهارة " مطلوبة و ضرورية للإنسان العادي، و للإداري، و هي رابطة الفرد بمجتمعه، و بمتطلبات مهنته، و بقضاء حوائجه اليومية ⁹ و هذا النوع يأخذ طابع الرسائل الإدارية، التقارير، الأعمال اليومية، الاجتماعات....

2- التعبير الكتابي الإبداعي (الإنشائي): يعين الطالب على التعبير عن نفسه و تصوير مشاعره تعبيراً و تصويراً يعكسان ذاتيته و يبرز شخصيته، يكون عن طريق " التعبير عن العواطف و الخلجات النفسية و الإحساسات المختلفة بأسلوب بليغ و نسق جميل ¹⁰ و يمثل هذا النوع في استعمال عبارات التزييق و التنميق من محسنات بديعية، و صور بيانية جميلة كالتشبيه و المجاز و الاستعارات، و هذا النوع من التعبير له إطارين، إطار شعري، و إطار نثري وظيفته " تغذية الخيال و صقل الذوق و استثارة المشاعر، كما يبعث البهجة و السرور في النفس ¹¹

3/ أهمية التعبير الكتابي:

يعد تعليم التعبير الكتابي غاية و وسيلة في حد ذاته لاعتباره حلقة الوصل بين جميع الأفراد و المجتمعات و البيئات " و غيره ممن تفصله عنهم المسافات الزمنية و المكانية ¹² و لكي تكتمل أهميته لابد من توافر الوسائل التي تساعد على التعبير الصحيح و الفصيح، و من بين هذه الوسائل نجد " المطالعة التي تزود القارئ بالمادة اللغوية و الثقافية، و النصوص منبعاً للثروة الأدبية، و أيضاً القواعد النحوية وسيلة لصون اللسان و القلم عن الخطأ، و إذا كان الإملاء وسيلة لرسم الكلمات و الحروف رسماً صحيحاً، فإنّ التعبير غاية هذه الفروع مجتمعة و هو تحقيق هذه الوسائل ¹³ إنّ التعبير يُظهر مكونات و قدرات شخصية الكاتب أو المعبر و نوعية ما يكتب و جودتها و الوسائل المستعملة في ذلك كالمدة الزمنية للكتابة أو التعبير و استغلال المراجع و الكتب و اللغة المستخدمة " فالتعبير الكتابي نشاط إدماج هام للمعارف اللغوية المختلفة و مؤشر دال على مدى قدرة المتعلم على تحويل هذه المعارف و توظيفها في وضعيات جديدة ¹⁴ و يقصد بالمعارف اللغوية كل من الإملاء، المفردات، اللغة، الجمل، المطالعة، الأفكار..... و يمكن حصر أهمية التعبير الكتابي في النقاط الآتية:

- أنّه وسيلة لاتصال الفرد بغيره.
- أنه يغطي فنين من فنون اللغة هما الحديث و الكتابة.
- التعبير عماد الشخص في تحقيق ذاتيته و شخصيته.
- تعزيز ثقة المتعلم بنفسه.
- يساعد على سرعة التفكير و ملمة الموضوع و تنسيق بين المواضيع.
- إدراك استخدام الأساليب اللغوية و تعليم اللغة.
- توظيف قواعد النحو و الصرف و الإملاء أثناء الكتابة و التعبير.

- كسب الخبرة و القدرة و الكفاءة و الأداء، قد توصل المتعلم من كتابة نصوص سردية وشعرية، أي التشجيع على الإبداع.

4/ طرق تدريس مهارة التعبير الكتابي:

تنقسم طرق تدريس مهارة التعبير الكتابي إلى قسمين:

طريقة تقليدية و طريقة حديثة و التي تشمل عدة طرق إذ تستند إلى " بيداغوجيا المشروع وحل المشكلات لكونها عملية و واقعية أساسها ربط مكتسبات المتعلم المدرسية بالحياة"¹⁵ و كلا الطريقتين لهما نفس الأهمية في عملية التعليم و التعلم. أثناء تدريس مادة التعبير الكتابي هناك ما يتطلب من المعلم القيام به اتجاه المتعلم و العكس صحيح فمثلا يتوجب على المعلم، فحتمًا هناك واجبات و طلبات يقوم بها.

أ- واجبات المعلم:

من واجباته إدماج مكتسباته القبلية من موارد و منهجيات و اللجوء إلى البحث و الاستقصاء، ثم البحث عن مشكلة ما أو موضوع نابع من محيط التلميذ و بيئته الاجتماعية.

هذا الاختيار يتلاءم و ميول و رغبات التلميذ، ثم بعد ذلك القيام بعدة تدريبات كإعطاء التلميذ واجبات منزلية ، ثم " يخصص الأستاذ قسطا من حصة التعبير الكتابي للتصحيح الوظيفي مركزا في كل مرة على جانب إجرائي (هيكلية إدارية، بناء مقدمة، عرض شاهد من الشواهد، توظيف ظاهرة لغوية مدروسة...) مراعيًا حاجات التلميذ و أخطائه، و يقع التصحيح إلى جانب تقديم موضوع التعبير الجديد و متابعة المشروع و حل الوضعية المشكلة"¹⁶

كيف يتم إتباع طريقة المشروع؟ تكون جماعية حيث يقوم المعلم أو الأستاذ بتقسيم التلاميذ إلى مجموعات و أن ينتقي موضوعا واحدا يكلف به مجموعات، ثم يختار أحسن موضوع لأحسن مجموعة التي أنجزت هذا التعبير أو الموضوع. و من إيجابيات هذه الطريقة¹⁷

- إثارة اهتمامات عفوية للتلميذ و تحضيره.

- استثمار جهوده.

- منح حرية المبادرة و الإبداع.

- التوجيه نحو النمو الوجداني و الاجتماعي.

- الممارسة الفعلية و إتقان الانجاز.

ب- واجبات المتعلم:

هناك نقاط معينة ينبغي على المتعلم أن يلتزم بها و هي:

○ على المتعلم أن يمتلك خبرات مكتسبة من الحياة، تساعد على التكوين و التدعيم.

○ امتلاك قاموس لغوي متطور، يمكنه من تركيب و تنسيق الأفكار.

- امتلاك مهارات كتابية كالخط و الإملاء.
- الابتعاد عن الخوف.
- مساعدة الأسرة في تكوين و تدعيم أبنائها، فهو عامل هام في تنمية قدرات المتعلم وبالخصوص الطفل.

5/ مشكلات أو صعوبات تدريس مهارة التعبير الكتابي:

إذا كان التعبير الكتابي وسيلة و غاية لتعليم التلميذ أو المتعلم، فإن الهدف منه هو " إقدار التلاميذ على التعبير -بنوعيه- بلغة عربية صحيحة سليمة "18 لكن هذا ما لم يمكن تحقيقه في المدارس التعليمية بجميع أنواعها و ربما يبقى بعدا بعيد المنال خصوصا و أن المستوى العلمي يزداد يوما بعد يوم في ترد نوعا و كمّا.

ولا شك لهذا أسبابا عديدة و عراقيل متنوعة منها:

أ- ازدواجية اللغة واللهجة: نجد في كلام المتعلم كثرة استعمال اللهجة العامية أو اللغة الثانية بعد العربية سواء أكانت فرنسية أم الانجليزية، لأنها هي اللغات و اللهجات المسيطرة في المجتمع من بيت و شارع و مدرسة، و خصوصا هذه الأخيرة، إذ أضحى المعلم أو الأستاذ يستعمل اللهجة ، فعوض أن تكون عاملا للبناء، تكون فاعلا في الهدم و المشكل في المعلمين و الأساتذة إذ " يستخدمون العامية... أي أن الطرق الطبيعية لتعلم اللغة لا تمارس في مدارسنا "19

ب- النقص و عدم الهيكلية: إذا تحدثنا عن وضعية التعبير الكتابي حاليا لوجدناها لا تزال تعاني النقص و عدم الهيكلية سواء تعلق الأمر بطريقة " تدريسه من اختيار و إعداد و عرض و تحرير وتصحيح وتصويب و إرشاد و توجيه "20 و هذه العملية خاصة بالأستاذ أو المعلم، و لا من ناحية القراءة و الكتابة لديه هي من أبرز وأقوى أسباب الضعف، فضلا عن نفور التلميذ من التعبير لشعوره بالعجز و جهله لأهميته.

وإجمالا يمكن تلخيص صعوبات تدريس مادة التعبير الكتابي في:

- عدم وضوح أهداف التعبير عند المعلم و المتعلم معا.
- سوء اختيار المواضيع.
- لعل عملية التصحيح و المتابعة هي ما تؤدي إلى نفور المعلم من هذه المادة.
- نقص الإمكانيات و الوسائل.
- نقص معرفة اللغة العربية الفصحى، و اعتماد العامية.
- الخوف و عدم وضوح منهج معين لتدريس هذه المادة و غيرها من معوقات تحيل بين المعلم و المتعلم في تدريس هذه المادة.

6/ الحلول و الآفاق:

لكي نخرج من هذه القوقعة لا بدّ من تضافر الجهود بين أفراد المؤسسات، و ذلك باتخاذ إجراءات كفيلة تدعم طرق تدريس التعبير الكتابي و من بينها:

- فتح باب الحوار و النقاش بين المعلم و المتعلم، و ذلك بترك للمتعلم فرصة التعبير عن أنفسهم دون ردعهم أو تخويفهم أو احتقارهم أو إحباطهم.

- الابتعاد عن الازدواجية، و ذلك عن طريق محاولة زرع حب اللغة العربية الفصحى.
 - على المعلم أن يعرف ميول و رغبات المتعلمين و دعوتهم للفهم و الاستيعاب.
 - كثرة التدريب على التحدث و الكتابة.
 - محاولة تأهيل المعلم بطريقة تربوية مناسبة.
 - الاستفادة من وسائل الاتصال و الإعلام الهادف الذي يخدم العملية التعليمية.
- و بهذا الشكل يمكن أن تحقق النوع و الكم المطلوب في دراسة هذه المادة التعبيرية التي هي حقيقة عبارة عن أسلوب راق يهدف إلى تنمية الذوق و الملكة اللغوية.

الهوامش:

- ¹ سورة يوسف ، الآية 43.
- ² سورة الرحمان، الآيات 1،2،3،4.
- ³ ، الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج1، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص609.
- ⁴ ينظر، أحمد محمد هديرو أبو بكر علي عبد العظيم، التعبير اللغوي مفرداته و تراكيبه، مكتبة ابن سينا للنشر و التوزيع والتصدير، د.ت، د.ط، ص7.
- ⁵ طه علي حسين الدليمي و سعاد عبد الكريم عباس الوائلي، اللغة العربية مناهجها و طرائق تدريسها، دار الشروق للنشر و التوزيع، 2005، ص135.
- ⁶ -هدى صالح : الأنشطة اللغوية وآثرها على تنمية بعض المهارات الكتابية لدى طلاب الصف الأول الثانوي ، رسالة ماجستير ، كلية العربية ، جامعة عين شمس ، ص 99
- ⁷ - اللقاني أحمد حسين وعلي الجمل ، معجم المصطلحات التربوية المعرفة في المناهج و طرق التدريس، عالم الكتب ، القاهرة ، ط3، 2003، ص 112
- ⁸ ينظر: طه علي حسين الدليمي، اللغة العربية مناهجها و طرائق تدريسها (م.س)، ص 139.
- ⁹ محمد رجب فضل الله، عمليات الكتابة الوظيفية و تطبيقاتها تعليمها و تقويمها، عالم الكتب للنشر، القاهرة، ط2003، 1، ص21.
- ¹⁰ طه و سعاد عبد الكريم الوائلي، طرق تدريس الأدب و البلاغة و التعبير (م.س)، ص 92
- ¹¹ ينظر، سهيلة محسن كاظم الفتلاوي، المنهاج التعليمي و التدريس الفاعل، دار الشروق، عمان، د.ط، 2006، ص12.
- ¹² عبد العليم إبراهيم، الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط14، د.ت، ص 151.
- ¹³ ينظر، سعاد عبد الكريم الوائلي، طرائق تدريس الأدب و البلاغة و التعبير بين النظري و التطبيقي، (م.س)، ص32.
- ¹⁴ سهيلة محسن كاظم الفتلاوي، المنهاج التعليمي و التدريس الفاعل (م.س)، ص15.
- ¹⁵ مصدر نفسه، ص15.
- ¹⁶ سهيلة محسن كاظم الفتلاوي، المنهاج التعليمي و التدريس الفاعل (م.س)، ص15
- ¹⁷ ينظر، المصدر نفسه، ص 19.
- ¹⁸ عبد المجيد عيساني، النحو العربي بين الأصالة و التجديد، دراسة وصفية نقدية لبعض الآراء النحوية، ددار ابن حزم للطباعة والنشر
- ¹⁹ عبد الله علي مصطفى، مهارات اللغة العربية، دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة، عمان، الأردن، ط1، 2002، ص53.
- ²⁰ عبد العليم إبراهيم، الموجه الفني (م.س) ص 169.